Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الرواية؛ لا روحها، ولا معارفها واكتشافاتها الواسعة، ولا استقلالية تاريخها. إن الفن المستوحى من ضحك الإله هو، في جوهره، لا أسير بل مناقض ضروب اليقين الأيديولوجية. وعلى مثال بنيلوب، فهو يفكك خلال الليل خيوط السجادة التي قام بعقدها اللاهوتيون والفلاسفة والعلماء في النهار.

لقد اعتدنا في الفترات الأخيرة على أن نتحدث عن القرن الثامن عشر بسوء ووصل بنا الأمر إلى مثل هذا الكلام المعاد: إن مصيبة الشموليّة الروسية هي من عمل أوربا، ولا سيما العقلانية الملحدة في عصر التنوير، وإيمانها في قوة العقل المهيمنة. ولا أشعر بنفسي مختصاً للمجادلة ضد من يجعلون من فولتير مسؤولاً عن الغولاغ. لكني في المقابل أشعرني مختصاً كيما أقول: إن القرن الثامن عشر ليس هو عصر روسو وفولتير وهولباش فحسب بل هو كذلك (إن لم يكن بوجه خاص) عصر فيلدنغ وستيرن وغوته ولا كلو.

ومن كل روايات هذه الحقبة فإن رواية «تريسترام شاندي» للرونس ستيرن هي ما أفضل. وهي رواية عجيبة. فستيرن يفتتحها بذكر الليلة التي حبلت أم تريسترام به، لكن ما إن يبدأ في الحديث عن ذلك حتى تفتنه مباشرة فكرة أخرى، وهذه الفكرة تستدعي بالتداعي تامّلاً آخر، ثم نادرة أخرى بحيث أن الاستطراد يقود إلى استطراد آخر، ويُنسى ترايسترام، بطل الكتاب، خلال أكثر من مائة صفحة. هذه الطريقة الغريبة في تأليف الرواية يمكن أن تظهر كما لوأنها لعبة شكلية. سوى أن الشكل في الفن هو دوماً أكثر من مجرد شكل. فكل رواية، شئنا أم أبينا، تقترح جواباً عن السؤال: ماهو الوجود البشري وأين يكمن شعره؟ وقد استطاع معاصرو ستيرن، كفيلدينغ مثلاً، أن يتذوقوا بصورة خاصة السحر الخارق للفعل والمغامرة. أما الجواب المضمر في رواية ستيرن فهو